تعريف موجز بالكتاب المقدس

«القرآن»

إعداد

ماجد بن سليمان الرسي

ذو الحجة ١٤٤٢هـ- يوليو ٢٠٢١م

فهرست

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلىٰ جميع الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فقد أرسل الله مع كل رسول كتابًا، قال الله تعالىٰ: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾.[1]

وقال الله تعالىٰ: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلىٰ نوح والنبيين من بعده وأوحينا علىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسىٰ وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا﴾.[2]

والكتب جمع كتاب، والكتاب بمعنىٰ (مكتوب)، والمراد بالكتب هنا الكتب التي أنزلها تعالىٰ علىٰ رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلىٰ

1 سورة الحديد: ٢٥.

2 سورة النساء: ١٦٣.

سعادتهم في الدنيا والآخرة.[1]

وقد أرسل الله مع كل رسول كتابًا، قال تعالىٰ: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾.[2]

كما أوجب الله تعالىٰ الإيمان بجميع الكتب المنزلة، قال تعالىٰ: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسىٰ وعيسىٰ وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.[3]

قال تعالىٰ: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾.[4]

والمقصود بالإيمان بالكتب في الآية هو الإيمان بها علىٰ وجهها الذي أنزلت به علىٰ الأنبياء قبل التحريف، وإلا فمن المعلوم أن جميع الكتب المنزلة قد أصابها التحريف والتبديل إلا القرآن، قال تعالىٰ: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.[5]

---

1 انظر: «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين (ص٩٤).

2 سورة الحديد: ٢٥ .

3 سورة البقرة: ١٣٦ .

4 سورة الشورىٰ: ١٥ .

5 سورة الحجر: ٩ .

فصل في بيان
ما يتضمنه الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب يتضمن خمسة أمور[1]، نذكرها علىٰ سبيل الإجمال ثم نفصل القول فيها:

الأول: الإيمان بأنها أُنزلت من عند الله حقًّا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها.

الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها.

الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسخ منها.

الخامس: الإيمان بأنها تدعو إلىٰ عقيدة واحدة وهي التوحيد.

1 يراجع: «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين (ص٩٤)، فقد ذكر الشيخ أربعة أمور، ومَنَّ الله بواحدة.

تفصيل

الأول: الإيمان بأنها أُنزلت من عند الله حقًّا، كما قال تعالىٰ في وصف المؤمنين: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسىٰ وعيسىٰ وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.[١]

وإنزال الكتب كان من طريق الوحي، فقد أوحىٰ الله بالكتب إلىٰ الملك المختص بإنزال الوحي من السماء إلىٰ الأنبياء، وهو جبريل، ثم قرأها جبريل علىٰ الأنبياء فحفظوها، ثم كل نبي يقرأ كتابه علىٰ القوم المُرسل إليهم.

---

1 سورة البقرة: ١٣٦ .

نبذة عن إنزال القرآن

جبريل رسولٌ مَلَك، ومحمَّدٌ رسولٌ بشر، والله يصطفي من الملائكة رسلًا لأداء مهام معينة، ويصطفي من الناس رسلًا لأداء مهمة تبليغ الرسالة، فاصطفىٰ لنقل كلامه (القرآن) الرسول المَلائكي وهو جبريل، واصطفىٰ لنقل القرآن الذي يحمل رسالة الإسلام رسوله البشري وهو محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)، فنزل الرسول المَلَائكي بالقرآن علىٰ الرسول البشري، ولقنه إياه أجزاءً علىٰ مدىٰ ثلاث وعشرين سنة، بحسب الأحداث.

واختيار الله تعالىٰ لجبريل (عليه السلام) دون غيره من الملائكة للقيام بهذه المهمة إنما هو لما فيه من صفات القوة والأمانة وغيرهما، وقد وصفه الله بذلك في القرآن، فقال: ﴿نزل به الروح الأمين * علىٰ قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾.

وقوله: ﴿نزل به﴾ أي: نزل بالقرآن، والروح الأمين هو جبريل.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها، وهي ستة: صحف إبراهيم وموسىٰ، والتوراة التي أُنزلت علىٰ موسىٰ (عليه السلام)، والإنجيل الذي أُنزل علىٰ عيسىٰ (عليه السلام)، والزبور الذي أُوتيه داود (عليه السلام)، والقرآن الذي

أنزل علىٰ محمد (صلىٰ الله عليه وسلم).

وبعض العلماء يقول: إن صحف موسىٰ هي التوراة؛ فتكون خمسة.

وأما ما لم يأتِ ذكرُ اسمه من تلك الكتب فنؤمن به إجمالًا.

والذي ينبغي علىٰ المؤمن الإيمان به هو الإيمان بالكتب الأصلية التي أنزلها الله علىٰ أنبياءه، وليس بما تحرف منها.

فنؤمن مثلًا بالتوراة التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ (عليه السلام)، ونؤمن بالإنجيل الذي أنزله الله علىٰ المسيح عيسىٰ ابن مريم (عليه السلام)، فتلك هي التوراة وذلك هو الإنجيل، وليست الكتب المنتشرة الآن في أيدي اليهود والنصارىٰ هي التوراة والإنجيل الأصليين، وإن سَمَّوها بذلك، بل الذي بيد النصارىٰ الآن هي أربعة أناجيل وثلاثة وعشرون رسالة، وهي أسفار تمت كتابتها من قِبَل أشخاص لم يثبت أنهم التقوا بالمسيح ورأوه لحظة واحدة، بل كتبوها بعد رفعه إلىٰ السماء، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.

وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة وأربعون (المكونة من التوراة وغيرها) إلىٰ أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة وعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): وأما الإنجيل الذي بأيديهم فهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح (عليه السلام)، ولا أملاه علىٰ من كتبه، وإنما

أملوه بعد رفع المسيح «متىٰ» و«لوقا»، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذِكر أقواله وأفعاله.[١]

وقال أيضًا: هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل -وقد يسمون كل واحد منهم إنجيلًا- إنما كتبها هؤلاء بعد أن رُفع المسيح، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله، ولا أن المسيح بلَّغها عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح، وأشياء من أفعاله ومعجزاته، وذكروا أنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه ورأوه.[٢]

فالحاصل: أن الله أمر بالإيمان بالكتب **الأصلية** التي أنزلها الله علىٰ أنبيائه، وتلك هي التي وصفها الله بأنها هدىٰ ونور.

قال الله في القرآن عن التوراة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًىٰ وَنُورٌ﴾.

وقال في القرآن عن الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًىٰ وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًىٰ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

ولما تعرضت كتب الأنبياء للضياع ولم تحفظ، أرسل الله نبيه محمدًا (صلىٰ الله عليه وسلم) بالقرآن، وحفِظه من التحريف والضياع، كما قال تعالىٰ: ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكر وإنا له لحافظون﴾، والذِّكر هو القرآن.

والقرآن كلام الله تكلم الله به حقيقة، ثم بلَّغه المَلَك جبريل إلىٰ النبي

1 باختصار يسير من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١/ ٤٩١)، الناشر: دار الفضيلة – الرياض.

2 «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ١٤).

محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)، ثم بلَّغه النبي محمد لأصحابه، ثم حُفظ في الصدور، ثم حُفظ في الأوراق والقراطيس، ثم جُمِع القرآن في كتاب واحد في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ثم نُسِخت النسخ علىٰ تلك النسخة إلىٰ يومنا هذا، وصدق الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكر وإنا له لحافظون﴾.

الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها، كأخبار القرآن، والأخبار التي لم تُبدل أو تُحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسخ منها، عملًا بقول الله تعالىٰ: ﴿يريد الله ليبين لكم **ويهديكم سنن الذين من قبلكم** ويتوب عليكم﴾.[١]

وقوله تعالىٰ: ﴿أولئك الذين هدىٰ الله **فبهداهم اقتده**﴾.[٢]

فائدة:

وللعلم؛ فإن القرآن حاكمٌ ومهيمنٌ علىٰ جميع الكتب السابقة، فهي منسوخة به علىٰ وجه الإجمال، ويستثنىٰ من ذلك العقائد وما أقره القرآن والسنة من الشرائع كما تقدم.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٣]، أي: حاكمًا عليه.

---

1 سورة النساء: ٢٦ .

2 سورة الأنعام: ٩٠ .

3 سورة المائدة: ٤٨ .

قال ابن تيمية (رحمه الله): فالسلف كلهم متفقون علىٰ أن القرآن هو المهيمن المؤتَمَن الشاهد علىٰ ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن علىٰ الشيء أعلىٰ منه مرتبة، ومن أسماء الله (المهيمن)، ويسمىٰ الحاكم علىٰ الناس، القائم بأمورهم؛ (المهيمن)، قال المبرد والجوهري وغيرهما: المهيمن في اللغة: المؤتمن.

وقال الخليل: الرقيب الحافظ.

وقال الخطابي: المهيمن: الشهيد.

قال: وقال بعض أهل اللغة: الهيمنة: القيام علىٰ الشيء والرعاية له ...

وهكذا القرآن؛ فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا، وبَيَّن الأدلة والبراهين علىٰ ذلك، وقَرَّر نبوة الأنبياء كلهم، ورسالة المرسلين، وقرَّر الشرائعَ الكلية التي بُعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبَيَّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبَيَّن ما حُرِّف منها وبُدِّل، وما فَعله أهلُ الكتابِ في الكتب المتقدمة، وبَيَّن أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة علىٰ ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حُرِّف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه الله، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات.

وكذلك معنىٰ الشهادة والحَكَم؛ يتضمن إثبات ما أثبته الله من صِدْقٍ ومُحكَم، وإبطال ما أبطله من كَذِبٍ ومنسوخ، وليس الإنجيل مع التوراة ولا الزبور بهذه المثابة، بل هي متبعة لشريعة التوراة إلا يسيرًا نسخه الله بالإنجيل، بخلاف القرآن.

ثم إنه مُعجزٌ في نفسِهِ، لا يَقدِرُ الخلائق أن يأتوا بمثله، ففيه دعوة الرسول، وهو آية الرسول وبرهانه علىٰ صدقه ونبوته، وفيه ما جاء به الرسول، وهو نفسه برهان علىٰ ما جاء به.

وفيه أيضًا من ضربِ الأمثالِ وبيانِ الآياتِ علىٰ تفضيل ما جاء به الرسول ما لو جُمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن ما عندهم إلا بعض ما في القرآن، ومن تأمل ما تكلَّم به الأولون والآخِرون في أصول الدين والعلوم الإلهية وأمور المعاد والنبوات والأخلاق والسياسات والعبادات وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها؛ لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات ومن أهل الرأي -كالمتفلسفة وغيرهم- إلا بعض ما جاء به القرآن، ولهذا لم تحتَج الأمة مع رسولها وكتابها إلىٰ نبي آخر وكتاب آخر فضلًا عن أن تحتاج إلىٰ شيء لا يستقل بنفسه غيره[1]، سواء كان من عِلم المحدَّثين والملهمين، أو من علم أرباب النظر والقياس، الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من

1 هكذا في المطبوع، وأظنه خطأً مَطبعيًّا، وصوابه: أو بغيره.

السماء. انتهىٰ باختصار.[١]

وقال ابن تيمية أيضًا: وأما القرآن فإنه مُستَقلٌّ بنفسه، لم يُحْوِجْ أصحابه إلىٰ كتابٍ آخر، بل اشتمل علىٰ جميع ما في الكتب من المحاسن، وعلىٰ زيادات كثيرة لا توجد في الكتب، فلهذا كان مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، يقرر ما فيها من الحق، ويُبطل ما حُرِّف منها، وينسخ ما نسخه الله، فيقرر الدين الحق، وهو جمهور ما فيها[٢]، ويُبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها، والقليل[٣] الذي نسخ فيها، فإن المنسوخ قليل جدًّا بالنسبة إلىٰ المُحكم المقرر. انتهىٰ.[٤]

قلت: ولما كان القرآن لا يصير منسوخًا كله، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف؛ صار مهيمنًا علىٰ الكتب السابقة.

وقال ابن كثير (رحمه الله) في معنىٰ وصف القرآن بالمهيمن: فهو أمين وشاهد وحاكم علىٰ كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، وأشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفَّل تعالىٰ بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالىٰ: ﴿إنا نحن نزلنا

---

1 «مجموع الفتاوىٰ» (١٧/ ٤٣ – ٤٥).

2 أي: هو غالب ما فيها.

3 أي: وينسخ القليل .

4 «مجموع الفتاوىٰ» (١٩/ ١٨٤ – ١٨٥).

الذكر وإنا له لحافظون﴾.[1]

الخامس مما يتضمنه الإيمان بالكتب: الإيمان بأنها تدعو إلىٰ عقيدة واحدة وهي التوحيد بأنواعه الثلاثة، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وأما الأحكام الشرعية التفصيلية فقد تتفق فيها الكتب من جهة العموم وتختلف من جهة التفصيل، بحسب ما تقتضيه حكمة الله واختياره لما يناسب عباده الذين وُضِعت لهم تلك الشريعة، كما قال تعالىٰ: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

فالأمر بالصلاة والصوم –مثلًا– ثابت في جميع الشرائع، ولكن كيفية الصلاة والصوم تختلف من شريعة لأخرىٰ.

وكذلك الطيبات من الأطعمة –كمثال آخر– ، فإن الله قد أحلها لأمة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)، في حين أنه حرَّم بعض الطيبات علىٰ بني إسرائيل بعدما كانت حلالًا لهم، حكمة منه سبحانه وتعالىٰ واختيارًا.

قال تعالىٰ: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا﴾.

---

1 انظر: «تفسير القرآن العظيم»، سورة المائدة، الآية: ٤٨ .

وإلىٰ هذا الاتفاق والاختلاف في الشرائع أشار النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) بقوله: «والأنبياء إخوةٌ لِعَلاَّت، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد».[1]

فقوله: (إخوةٌ لِعَلَّات): كلمة (علَّات) جمع (عَلَّة)، وهي الضَّرَّة، وهي المرأة يكون لزوجها امرأة أخرىٰ، وفي هذا الحديث شبَّهَ النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) الأنبياء بالأبناء من أب واحد وأمهات شتىٰ، فالأمهات هن الشرائع وفيها يحصل الاختلاف، والأب هو أصل الدين وهو عبادة الله وحده.

والدليل علىٰ هذا قول الله تعالىٰ: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾.

وقال: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

وقال الله لنبيه مُحمدٍ: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون﴾.

وسيأتي قريبًا إن شاء الله مزيد تفصيل لمواطن اتفاق الكتب السماوية واختلافها.

فصل في بيان أعظم الكتب

وأعظم الكتب هي القرآن والتوراة والإنجيل، وكثيرًا ما يجيء ذكرها في القرآن، وكثيرًا ما يقرن الله في القرآن بين نبوة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)

---

1 رواه البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (٢٣٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ونبوة موسىٰ (صلىٰ الله عليه وسلم)، وبين كتابيهما وشريعتيهما، لأن كتابيهما أفضل الكتب، وشريعتيهما أكمل الشرائع، ونبوتيهما أعلىٰ النبوات، وأتباعهما أكثر المؤمنين.[1]

وأعظم الكتب الثلاثة هو القرآن بلا شك، ولهذا جعله الله مهيمناً علىٰ كل الكتب السماوية قبله كما تقدم، وفيه من الإعجاز ما ليس في غيره من الكتب، وسيأتي ذكر وجوه إعجاز القرآن الكريم في خاتمة مبحث الإيمان بالرسل لكونه من معجزات النبي محمد (صلىٰ الله عليه وسلم).

❁❁❁

1 قاله الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله) في تفسيره في مقدمة تفسير سورة الإسراء.

فائدة
في ميزة التوراة على الإنجيل

قال ابن كثير (رحمه الله) في خاتمة تفسير سورة الأحقاف ما محصَّلُهُ أن الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هي التوراة، فلهذا قالت الجن عن القرآن إنه أُنزِل من بعد موسىٰ، ولم تقل إنه أنزل من بعد عيسىٰ، لأن التوراة التي أنزِلت علىٰ موسىٰ هي الأصل. انتهىٰ الغرض منه.

ولهذا فإن الله علّم نبيه عيسىٰ ابن مريم التوراة والإنجيل كليهما.

قال الله تعالىٰ عن الملائكة أنها قالت لأمه مريم: ﴿ويُعلِّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾، أي: أن الله يعلمه الكتابة، والسَّداد في القول والفعل، والتوراة التي أوحاها الله إلىٰ موسىٰ (عليه السلام)، والإنجيل الذي أنزل الله عليه.

فالحاصل أن الإنجيل متمم للتوراة ومكمل لها، وليس ناسخًا لها.

فصل في بيان مواطن اتفاق الكتب السماوية ومواطن اختلافها

الكتب السماوية قاطبة متفقة علىٰ أمور ومختلفة في أمور، فأما مواطن الاتفاق فستة:

الأول: أن جميع الكتب دعت إلىٰ شيء واحد وهو عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه، سواء كانوا أصنامًا أو أشخاصًا أو أنبياء أو أحجارًا أو غيرها.

فدين الأنبياء واحد بهذا الاعتبار، وهو عبادة الله وحده.

الثاني: تتفق الكتب السماوية علىٰ وجوب الإيمان بأصول العقيدة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

الثالث: تتفق الكتب السماوية علىٰ وجوب التَّعبد لله تعالىٰ بعبادات معينة، وقد تشترك بعض الأمم في عبادات معينة كالصلاة والزكاة والصوم والحج، ولكن تلك العبادات تختلف عن بعضها في كيفية أدائها بحسب الناس الذين بُعِث إليهم ذلك النبي، فبني إسرائيل مثلًا أمرهم النبي موسىٰ بالصلاة، ثم لما بعث الله نبيه عيسىٰ أمرهم بالصلاة أيضًا، ثم لما أرسل الله نبيه محمدًا أمر الناس بالصلاة، لكن كيفية الصلاة وتوقيتها يختلف من شريعة موسىٰ إلىٰ

شريعة عيسىٰ إلىٰ شريعة محمد، ولكنها في النهاية تشترك في كونها عبادة لله وحده، ينبغي أن تؤدىٰ علىٰ نحو ما بينه ذلك النبي لأتباعه.

ونفس الشيء يقال بالنسبة لعبادة الصوم وغيرها من العبادات.

قال تعالىٰ مبينًا اشتراك بعض الأمم في الصلاة والزكاة: ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾.[١]

وقال تعالىٰ في الصوم: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علىٰ الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.[٢]

وقال لإبراهيم كما في سورة الحج: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا﴾.[٣]

الرابع: اتفاقها علىٰ الأمر بالعدلِ والقِسطِ.

قال تعالىٰ: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾.[٤]

والأمر بالعدل مذكور في شريعة موسىٰ وإبراهيم، ومن أمثلة ذلك ألا يؤاخذ أحد بذنب غيره.

---

1 سورة الأنبياء: ٧٣ .

2 سورة البقرة: ١٨٣ .

3 سورة الحج: ٢٧ .

4 سورة الحديد: ٢٥ .

قال تعالىٰ: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسىٰ * وإبراهيم الذي وفَّىٰ * ألا تزر وازرة وزر أخرىٰ﴾.[1]

الخامس: اتفاقها علىٰ الأمر بحفظ الضروريات الخمس، وهي: الدين والعقل والمال والعرض والنفس.

السادس: اتفاقها علىٰ الأمر بمحاسن الأخلاق والنهي عن قبيحها، فتأمر -مثلًا- ببر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الضيف والعطف علىٰ الفقراء والمساكين والقول الحسن ونحو ذلك، كما أنها تنهىٰ عن القبائح، كالظلم والعدوان وعقوق الوالدين وانتهاك الأعراض والغيبة والكذب والسَّرقة وغير ذلك.

وأما مواطن الاختلاف بين الشرائع السماوية ففي أمرين، وهذا الاختلاف من حكمة الله تعالىٰ ليكون لكل أمة من الشرائع ما يناسب طبيعتها.

قال تعالىٰ: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾.[2]

ومَوطِنا الاختلاف هما:

الأول: كيفية العبادات المشتركة بين الشرائع، فالصلاة كانت مفروضة في شريعة عيسىٰ، ولكنها تختلف في كيفيتها عن الصلاة المفروضة في شريعة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)، وربما تتفق معها في بعض صورها، كما قال

---

1 سورة النجم: ٣٦ – ٣٨ .

2 سورة المائدة: ٤٨ .

النبي (صلىٰ الله عليه وسلم): «إنا معاشر الأنبياء أُمِرْنا أن نُعجِّل إفطارنا، ونؤخِّر سحورنا، ونضع أيماننا علىٰ شمائلنا في الصلاة».[1]

وكذلك الصوم المفروض في شريعة من قبلنا، تختلف كيفيته عن الصوم في شريعة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)، فقد كان الإمساك في شريعة من قبلنا يبدأ إذا استيقظ الإنسان من نومه إذا نام في أي وقت من الليل، أوله أو وسطه أو آخره، ويمتد ذلك الإمساك إلىٰ مغرب الليلة القابلة، ثم جعل الله ابتداء الإمساك في شريعة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم) عند طلوع الفجر، بدون اعتبار للنوم قبله، وهذا من حكمة الله تعالىٰ وتيسيره علىٰ هذه الأمة.

الثاني: الاختلاف في تشريع بعض الأحكام، فقد يُحِل الله طعامًا لأمة، ويُحرِّمه علىٰ آخرين لحكمة يعلمها الله عز وجل، قد نعلمها وقد لا نعلمها، كما حرم الله علىٰ اليهود أنواعًا من الأطعمة.

قال تعالىٰ: ﴿وعلىٰ الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾.[2]

ثم في شريعة عيسىٰ (عليه السلام) أُحِلَّت تلك الأطعمة، فقد قال عيسىٰ

---

1 رواه البيهقي (٤/ ٢٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأشار إلىٰ ثبوته الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٣٧٥).

2 سورة النساء: ١٤٦ .

لقومه ﴿ومصدقًا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾.[1]

ثم جاءت شريعة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)، فأَحلَّت الطيبات كافة وحَرَّمتِ الخبائث كافة.

1 سورة آل عمران: ٥٠ .

الحكمة من إنزال القرآن[1]

بيَّن الله تعالىٰ في كتابه العزيز الحكمة الكبرىٰ من إنزال القرآن في قوله جل وعلا: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور بإذن ربهم إلىٰ صراط العزيز الحميد﴾.[2]

وقد بيَّن الله تعالىٰ في آيات أخرىٰ الحكمة من ذلك الإخراج وهي:

الأولىٰ والثانية والثالثة: تدبُّر آياته وتذكُّر أولو الألباب ومن ثَمَّ حصول التقوىٰ.

ودليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك **ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**﴾.[3]

وقال تعالىٰ: ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرَّفنا فيه من الوعيد **لعلهم يتقون** أو يحدث لهم ذكرًا﴾.[4]

1 استفدت هذا الفصل من «أضواء البيان»، تفسير سورة (ص)، قوله تعالىٰ: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾.

2 سورة إبراهيم: ١ .

3 سورة ص: ٢٩ .

4 سورة طه: ١٣٣ .

الرابعة: البِشارة بالثواب للمتقين والإنذار بالعقاب لمن أعرض عنه.

قال تعالىٰ: ﴿فإنما يسرناه بلسانك **لتبشر** به المتقين **وتنذر** به قوما لُدًّا﴾.[١]

الخامسة: تبيين الأحكام الشرعية للناس.

قال تعالىٰ: ﴿وأنزلنا إليك الذكر **لتبين للناس ما نُزِّل إليهم** ولعلهم يتفكرون﴾.[٢]

وقال تعالىٰ: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا **لتبين** لهم الذي اختلفوا فيه﴾.[٣]

السادسة: تثبيت المؤمنين علىٰ الإيمان والهدىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق **ليثبت الذين آمنوا** وهدىٰ وبشرىٰ للمسلمين﴾.[٤]

السابعة: الحُكم بين الناس به -أي بالقرآن-.

قال تعالىٰ: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق **لتحكم بين الناس** بما أراك الله﴾.[٥]

أي: بما علَّمك في هذا القرآن من العلوم.

---

1 سورة مريم: ٩٧ .

2 سورة النحل: ٤٤ .

3 سورة النحل: ٤٦ .

4 سورة النحل: ١٠٢ .

5 سورة النساء: ١٠٥ .

تَميُّز القرآن العظيم عن غيره من الكتب السماوية

تميَّز القرآن بخصائص عدة عن غيره من الكتب السماوية، نذكر منها ثلاث خصائص:

١. أن فيه تبيانًا لكل شيء، كما قال تعالىٰ: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء﴾.[١]

وكما قال تعالىٰ: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.[٢]

وقد بين جلال الدين السيوطي[٣] (رحمه الله) ذلك التبيان في مقدمة

1 سورة النحل: ٨٩ .

2 سورة الأنعام: ٣٨ .

3 هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب، برز في جميع الفنون، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها في علوم القرآن «الإتقان في علوم القرآن»، وله في التفسير «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»، وله في علوم الحديث «ألفية السيوطي في الحديث»، وله في الحديث «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير». توفي عام ٩١١. انظر ترجمته في: «البدر الطالع» للشوكاني، و«الأعلام» للزركلي.

كتابه «الإكليل في استنباط التنزيل»[1]، فقال ما ملخصه:

قد اشتمل كتاب الله علىٰ كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها.

وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلىٰ، وما تحت الثرىٰ، وبدء الخلق، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وعيون أخبار الأمم السالفة؛ كقصة آدم مع إبليس في إخراجه من الجنة، وإغراق قوم نوح، وقصة عاد وثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يونس، وإلياس، وأصحاب الرَّس، وقصة موسىٰ في ولادته وفي إلقائه في اليم، وقتلِه القِبطي، ومسيره إلىٰ مدين، وتزوجه ابنة شعيب، وكلام الله تعالىٰ له بجانب الطور، وبعثه إلىٰ فرعون، وخروجه من البحر وإغراق عدوه فرعون، وقصة العجل، وقصة القوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة، وقصة القِتال وذبح البقرة، وقصته في قتال الجبارين، وقصته مع الخضر، وقصة طالوت وداود مع جالوت وقتله، وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبإ وفتنته، وقصة القوم الذين خرجوا فرارًا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم، وقصة إبراهيم في مجادلته قومه، ومناظرته النمروذ، ووضعه إسماعيل مع أمه بمكة، وبنائه البيت، وقصة الذَّبيح إسماعيل، وقصة يوسف، وقصة مريم وولادتها عيسىٰ وإرساله ورفعِه، وقصة زكريا وابنه يحيىٰ، وأيوب وذي الكِفل، وقصة ذي

1 هو من منشورات دار الأندلس الخضراء بجدة، بتحقيق: د. عامر بن علي العرابي.

القرنين ومسيره إلىٰ مطلع الشمس ومغربها وبنائه السَّد، وقصة أصحاب الكهف والرقيم، وقصة بُختنصر، وقصة الرجلين اللذين لأحدهما الجنة، وقصة أصحاب الجنة الذين أقسموا ليقطعُنَّ ثمار حديقتهم مبكِّرين في الصباح، فلا يَطْعَم منها غيرهم من المساكين ونحوهم، وقصة مؤمِن آل فرعون، وقصة أصحاب الفيل.

وفيه من شأن النبي محمد (صلىٰ الله عليه وسلم) دعوة إبراهيم به[١]، وبِشارة عيسىٰ بنبوته[٢]، وبَعثِه وهجرته.[٣]

ومن غزواته: غزوة بدر في «سورة الأنفال»، وأُحُد في «سورة آل عمران»، وغزوة الخندق في «سورة الأحزاب»، والنضير في «سورة الحشر»، والحديبية في «سورة الفتح»، وتبوك في «سورة براءة»، وحجة الوداع في «سورة المائدة»، ونكاحه زينب بنت جحش ، وتظاهُر أزواجه عليه، وقصة الإفك، وقصة الإسراء، وانشقاق القمر، وسِحر اليهود إياه.

وفيه بدء خلق الإنسان إلىٰ موته، وكيفية الموت وقبض الروح وما يُفعل بها بعد صعودها إلىٰ السماء، وفتح الباب للروح مؤمنة وإلقاء الروح الكافرة، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقر الأرواح، وأشراط الساعة الكبرىٰ العشرة،

---

1 أي دعاء النبي إبراهيم (عليه السلام) أن يبعث في الأمة نبيًّا، فكان هو محمدًا (صلىٰ الله عليه وسلم).

2 يوجد في التوراة والأناجيل المنتشرة بين اليهود والنصارىٰ بشارات كثيرة بنبوة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم).

3 أي: هجرته من مكة إلىٰ المدينة فرارا بدينه لما ضيَّق عليه قومه وحالوا دونه ودون نشر الإسلام في مكة.

وهي:

نزول عيسىٰ، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والدابة، والدخان، ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وإغلاق باب التوبة، والخسف.

وأحوال البعث من نفخة الصور، والفزع، والصَّعق، والقيام، والحشر والنشر، وأهوال الموقف، وشدة حر الشمس، وظل العرش، والصراط، والميزان، والحوض، والحساب لقوم، ونجاة آخرين منه، وشهادة الأعضاء، وإيتاء الكُتب بالأيمان والشمائل وخلف الظهور، والشفاعة، والجنة وأبوابها، وما فيها من الأشجار والثمار والأنهار والحُلِي والألوان والدرجات ورؤيته تعالىٰ.

والنار وما فيها من الأودية، وأنواع العقاب، وألوان العذاب، والزقوم والحميم، إلىٰ غير ذلك مما لو بُسِط جاء في مجلدات.

وفي القرآن جميع أسمائه تعالىٰ الحسنىٰ، وفيه من أسماء النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) جملةً.[1]

وفيه شعب الإيمان البضع والسبعون.

وفيه شرائع الإسلام الثلاثمائة وخمس عشرة.

وفيه ذكر أنواع الذنوب الكبائر وكثير من الذنوب الصغائر.

---

1 أي: مجموعة من الأسماء، كأحمد والسراج المنير ونحو ذلك.

وفيه تصديق كل حديث ورد عن النبي (صلىٰ الله عليه وسلم).

هذه جملة القول في ذلك.

انتهىٰ باختصار يسير وتصرف من كلام السيوطي (رحمه الله) في مقدمة كتابه «الإكليل في استنباط التنزيل».

❋ ❋ ❋

٢. ومن خصائص القرآن أنه كتاب هداية **للناس كافة**، بخلاف الكتب الأخرىٰ، فإنها كانت تصلح لناس دون آخرين، حكمة منه جل وعلا، كما جاء في القرآن ذكرُ المصالح التي يحتاجها البشر وتدور عليها الشرائع، وفيه حلول المشاكل العالمية.

انظر ما قاله الشنقيطي (رحمه الله) في هذا الباب في تفسير قوله تعالىٰ ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾[1]، فقد تكلم عليه في نحو من خمس وخمسين صفحة.

❋ ❋ ❋

٣. ومن أعظم خصائص القرآن العظيم أنه محفوظ من التغيير والتبديل والتحريف علىٰ مر الدهور والعصور إلىٰ نهاية العالم، فقد تعهَّد الله بحفظه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحنُ نزلْنَا الذّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾[2]، أي: إن الله نزل الذِّكر

1 سورة الإسراء: ٩ .

2 سورة الحِجْر: ٩ .

وهو القرآن، ثم حَفِظه، وطريقة حفظه علىٰ مدىٰ العصور الماضية كانت كالتالي:

بعد إنزال القرآن علىٰ النبي محمد (صلىٰ الله عليه وسلم) عن طريق المَلَك جبريل؛ حفظه النبيُّ في قلبه، ثم قرأه علىٰ أصحابه فحفظوه في صدورهم وكتبوه علىٰ الألواح، وكان عدد أصحاب النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) ألوفًا، ثم تتابع الناس في الآفاق علىٰ حفظ القرآن بعد الصحابة ولم يفرطوا فيه، جيلًا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، وكان حِفظهم متطابقًا، ولا يزال متطابقًا، لا يختلف حرفًا واحدًا، فبهذا حفِظ الله ألفاظ القرآن من التغيير والزيادة والنقص، وحفِظ معانيه من التبديل، فلا يوجد في القرآن مؤلف مجهول، لأن الكلام كلام الله، لم يتدخل فيه أحدٌ بتأليف أو تحريف، كما لا يوجد في القرآن جزء مفقود أو تناقض بين الآيات أو سقط في بعض الآيات، ولم يتجرَّأ أحدٌ علىٰ مر التاريخ علىٰ تحريف معنًىٰ من معانيه إلا وقَيَّض الله له من يرد عليه، ويكشف كذبه وزوره وبهتانه، ويُبَيِّن الحق المُبين، وهذا من أعظم آيات الله علىٰ أنه كتاب منزل، ومن أعظم نعمه علىٰ عباده المؤمنين إلىٰ نهاية الدنيا.

قال السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) في كتابه «النبي الخاتَم»:

«أما القرآن الكريم الذي كان آخر الكتب المنزلة من الله ومُصدِّقًا لها ومهيمنًا عليها، وعليه الاعتماد في هداية البشر، وربط الخلق بالخالق، والدعوة

إلىٰ الله بعد البعثة المحمدية إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فشأنه يختلف عن شأن جميع الكتب السماوية كل الاختلاف، فقد تكفل الله بحفظه وسلامته من كل تحريف وتبديل، وزيادة ونقص، فقال: ﴿وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.[١]

وكذلك تكفل الله بسلامته من مسخ وعبث ومحوٍ من الذاكرة، وارتفاع عن صدور الناس، أو تعرضٍ لنكبةٍ تقضي عليه أو تُبيده، كما وقع أكثر من مرة للتوراة، فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٢]، وهي الكفالة بحفظه وبقائه وانتشاره وازدهاره وبقائه متلوًّا ومدروسًا ومفهومًا، وغير مهجورٍ قد انقطع العمل به بتاتًا وتُنُوسي، فكل هذا –من معانٍ ولوازم وآفاق– مما تنطوي عليه كلمة (الحفظ) العربية البليغة».

انتهىٰ كلامه رحمه الله.[٣]

فإن قيل: وما هي الدلائل علىٰ أن القرآن محفوظ لم يتعرض للتحريف؟

فالجواب علىٰ ذلك من وجوه:

• أن البشر كلهم ما استطاعوا أن يأتوا بآية مثل آية واحدة في القرآن في بلاغته وحسن كلامه، ولو أنه تعرض للتحريف لاتضح هذا في سياق القرآن،

---

1 سورة فصلت: ٤١ – ٤٢ .

2 سورة الحِجْر: ٩ .

3 ص ٣٤، الناشر دار الكلمة – مصر.

لأن أسلوب كلام البشر مختلف عن أسلوب كلام الرب.

• ثم إن القرآن متميزٌ في نظمه وأسلوبه عن كلام البشر، وقد حاول أناس علىٰ مر التاريخ إدخال تحريفات في القرآن فانكشفوا وذهبت جهودهم.

• ثم إن القرآن محفوظ في الصدور علاوة علىٰ كونه محفوظًا في القراطيس، فإن ملايين البشر يحفظونه في آنٍ واحد علىٰ مر الأزمان، ومن المعلوم أن ما كان في الصدور فلا يمكن تحريفه.

• كذلك فإن التاريخ يشهد بأن القرآن لم يتعرض قط للتحريف، ولو أنه تعرض للتحريف لذكره المؤرخون وأتوا بإثباتات، لاسيما مع وجود أعداء للقرآن علىٰ مر التاريخ.

فلم يُذكر قط في التاريخ أن المسلمين اختلفوا في سورة أو آية أو كلمة واحدة أو حتىٰ حرف واحد من القرآن، هل هو من القرآن أم مُدخلٌ عليه؟

بل التاريخ يشهد علىٰ ثبوت النص القرآني كما هو علىٰ مر العصور والقرون، وفي مختلف بقاع الدنيا، شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا.

• ومما يدل علىٰ حفظ القرآن: أن القارئ الكريم لو أتىٰ بنسخة من القرآن وقارنها بنسخة أخرىٰ في أمريكا، وبنسخة ثالثة في الصين، ونسخة رابعة في الهند، لوجد بأمِّ عينيه أن هذه النسخ متطابقة، ليس فيها اختلاف بحرف واحد، فهذا دليل مادي حِسِّي علىٰ حفظ القرآن.

• ثم إن النسخة الأصلية من القرآن محفوظة منذ أربعة عشر قرنًا، وهي

موجودة في متحف في اسطنبول بتركيا، وجميع النسخ المطبوعة في العالم هي مقابلة بتلك النسخة.

●فالحاصل أن القرآن هو هو كما أُنزِل قبل أربعة عشر قرنًا، لا يتعرض لتحديث revision ، كما هو الحال في الكتب الأخرىٰ التي يُحدِّثها البشر، ثم يقولون إنها من عند الرب، وإنها كلامه!

●وبهذا تتضح قدرة الرب سبحانه وتعالىٰ في حفظ القرآن، مقارنة بقدرة البشر علىٰ حفظ غيره من الكتب كالتوراة والإنجيل، فالنص القرآني محفوظ كما هو منذ أنزل، والتاريخ شاهد بذلك، لأن الله تكفل بحفظه، بينما النصوص الأصلية لجميع الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل غير محفوظة، والتاريخ شاهد بذلك، مع أنهما أقرب كتابين للقرآن من الناحية الزمانية، والسبب في ذلك أن الأحبار والرهبان لم يحفظوها، فالإنجيل **الأصلي** «الكتاب المقدس» الذي كان بيد المسيح عيسىٰ ابن مريم والحواريين تعرض للضياع، فليس له وجود الآن، وحَلَّ مكانه أربعة أناجيل كتبها أربعة أشخاص (متىٰ، مرقس، لوقا، يوحنا)، وملحقٌ بها ثلاث وعشرون رسالة، كلها قد أُلِّفت بعد رفع المسيح، فيكون المجموع سبعة وعشرين سفرًا، وقد بدأ تدوين تلك الأناجيل الأربعة من سنة ٣٧ م إلىٰ سنة ١١٠م، وهؤلاء الأربعة لم يثبت أن التقوا بالمسيح ولو للحظة واحدة، بل كتبوها بعد رفعه إلىٰ السماء، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.

وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة والأربعين (المكونة من التوراة وغيرها) إلىٰ أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة وعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.

● ومما يدل بوضوح علىٰ تحريف رجال الدين المسيحيين للإنجيل: أن هذه الأناجيل الأربعة يتم تحديثها بشكل مستمر مِن قِبَل متخصصين في الأناجيل، حيث يكتشف هؤلاء المتخصصون من وقت لآخر أن هناك عبارات مقحمة في النص الأصلي منها، فيُخرجون نسخة جديدة من الأناجيل revision ، ويقولون إنها منقحة من تلك العبارات المُقحمة في النص، أليس هذا دليلًا واضحًا علىٰ تلاعبهم بها؟

● فبهذا يتبين لنا بوضوح أن الرجوع إلىٰ هذه الكتب التي تسمىٰ أناجيل والاعتماد عليها لمعرفة رسالة المسيح عيسىٰ ابن مريم الأصلية خطأ فادح، لأنه رجوع إلىٰ كلام البشر الذي يعتريه الصواب والخطأ، فهي مثل كتب التاريخ ونحوها، وكتب القصص والحكايات، التي تؤلف بعد مرور فترة من الزمن علىٰ الأحداث التي تكلموا عنها، فيكون فيها الصح والخطأ، والاختلاف والاضطراب، وليس رجوعًا إلىٰ كتاب الله المقدس (الإنجيل الأصلي) الذي أنزله الله علىٰ المسيح عيسىٰ ابن مريم، ولو أن هذه الأناجيل التي يتداولها النصارىٰ (المسيحيون) هي فعلًا الإنجيل الأصلي لَمَا تعددت ولَمَا تناقضت فيما بينها، لأنه من المعلوم قطعًا أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح إنما هو

كتاب واحد، وكذلك الأمر يقال بالنسبة للتوراة، وهذا مِصداق قول الله تعالىٰ: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾.[1]

●فبناء علىٰ هذا فلا يستطيع باحث أو عالم منصف أن يقول إن الأناجيل الأربعة محفوظة كما هي كما كتبها مؤلفوها، فضلًا عن أن يقولوا إنها -أو واحد منها- تُمَثِّل النص الأصلي للإنجيل الذي أنزله الله علىٰ المسيح، وكان بيد المسيح والحواريين.

●ولكن الله رحيم بعباده، لم يترك الناس هكذا بلا كتاب هداية وإرشاد، فقد أنعم علىٰ الناس كلهم بكتاب خالد وهو القرآن، فيه هدىٰ ونور، وحَفِظَهُ علىٰ هيئته كما هو غضًّا طريًّا، وسيبقىٰ محفوظًا إلىٰ نهاية الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحنُ نزلْنَا الذّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾، وجعله صالحًا لكل زمان ومكان، ولجميع أصناف البشر[2]، فبهذا تم وعد الله بحفظ القرآن ليكون كتاب هداية للناس كلهم، بني إسرائيل وغير بني إسرائيل، الأبيض والأسود، العرب والعجم، الإنس والجن، إلىٰ نهاية هذا العالم، وتضمن هذا القرآن شريعة الإسلام التي هي خاتمة الشرائع.

●وفيما يلي قصة لطيفة من التاريخ تثبت حفظ القرآن علىٰ مر العصور والدهور، وقد حصلت لأحد خلفاء المسلمين كان يُسمىٰ المأمون، دخل عليه

---

1 سورة النساء: ٨٢ .

2 بإمكان القارئ الكريم تصفح القرآن من خلال هذا الموقع www.quran.ksu.edu.sa

في مجلسه رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما انتهىٰ المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟

فقال: نعم.

فقال له: أسلِم حتىٰ أفعل بك وأصنع، أي يعطيه مالًا ونحو ذلك.

فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف.

يعني: لن أترك ديني ودين آبائي.

فلما كان بعد سنة جاء اليهودي مسلمًا إلىٰ مجلس المأمون، فتكلم في أمور الدين الإسلامي فأحسن الكلام، فلما انتهىٰ المجلس دعاه المأمون فقال له: ألست صاحبنا بالأمس؟

فقال: بلىٰ.

قال: فما كان سبب إسلامك؟

قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، فعمدت إلىٰ التوراة فكتبتُ ثلاث نسخ فزِدت فيها ونقَصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتُرِيت مني.

وعمدت إلىٰ الإنجيل فكتبتُ ثلاث نسخ فزدتُ فيها ونقَصت، وأدخلتها البيعة فاشتُرِيت مني.

وعمدت إلىٰ القرآن فعمِلت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقَصت، وأدخلتها

علىٰ الورَّاقين (هم الذين يكتبون الكتب ويبيعونها، قبل وجود المطابع) فتصفحوها، فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلِمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي. انتهت القصة.

فصل في بيان الأدلة القرآنية على تحريف الأحبار والرهبان للتوراة والإنجيل

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالىٰ في سورة المائدة عند ذكر حال الأحبار والرهبان مع الكتب المنزلة إليهم وتفريطهم في حفظها: ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾[1]، قال رحمه الله:

أخبر تعالىٰ في هذه الآية الكريمة أن الأحبار والرهبان استُحفظوا كتاب الله يعني استُودعوه، وطُلب منهم حفظه، ولم يبين هنا هل امتثلوا الأمر في ذلك وحفِظوه، أو لم يمتثلوا الأمر في ذلك وضيعوه، ولكنه بين في مواضع أُخَر أنهم لم يمتثلوا الأمر، ولم يحفظوا ما استُحفظوه، بل حرَّفوه وبدلوه عمدًا، كقوله: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ الآية، وقوله: ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ الآية، وقوله: ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾، وقوله: ﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ الآية، وقوله جل وعلا: ﴿وإنَّ منهم فريقـًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾ الآية، إلىٰ غير ذلك من الآيات ...

---

1 سورة المائدة: ٤٤ .

ثم قال رحمه الله: والقرآن العظيم لم يكِلِ الله حفظه إلىٰ أحد حتىٰ يُمْكِنه تضييعَه، بل تولىٰ حِفظه جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة، كما أوضحه بقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وقوله: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ الآية، إلىٰ غير ذلك من الآيات. انتهىٰ كلامه رحمه الله.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في كتابه «إغاثة اللهفان»:

ثم بعث الله سبحانه عبدَه ورسولَه وكلمتَه المسيح ابنَ مريم، فجدَّد لهم الدين، وبيَّن لهم معالمه، ودعاهم إلىٰ عبادة الله وحده، والتبرِّي[١] من تلك الأحداث والآراء الباطلة، فعادوه وكذبوه، ورموه وأمه بالعظائم، وراموا[٢] قتله، فطهَّره الله تعالىٰ منهم، ورفعه إليه فلم يصِلوا إليه بسوء، وأقام الله تعالىٰ للمسيح أنصارًا دعوا إلىٰ دينه وشريعته، حتىٰ ظهر دينُه علىٰ من خالفه، ودخل فيه الملوك، وانتشرت دعوته، واستقام الأمر علىٰ السَّداد بعده نحو ثلاثمئة سنة.

ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتىٰ تناسخ واضمحل ولم يبق بأيدي النصارىٰ منه شيء، بل ركَّبوا دينًا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عُبَّاد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتىٰ يُدخلوهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلىٰ عبادة الصور التي لا ظل لها، ونقلوهم من السجود للشمس إلىٰ السجود إلىٰ جهة المشرق، ونقلوهم من القول باتحاد

---

1 أي: التبرؤ.

2 أي: قصَدوا.

العاقل والمعقول والعقل إلىٰ القول باتحاد الأب والابن وروح القدس.

هذا ومعهم بقايا من دين المسيح، كالختان والاغتسال من الجنابة وتعظيم السبت وتحريم الخنزير وتحريم ما حرَّمته التوراة إلا ما أُحِل لهم بنصها، **ثم تناسخت الشريعة** إلىٰ أن استحلُّوا الخنزير وأحلُّوا السبت وعوَّضوا منه يوم الأحد وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يُصلي إلىٰ بيت المقدس فصلَّوا هم إلىٰ المشرق، ولم يُعظِّم المسيح عليه السلام صليبًا قط، فعظَّموا هم الصليب وعبدوه، ولم يصُم المسيح عليه السلام صومَهم هذا أبدًا ولا شرَعه ولا أمر به البتة، بل هم وضعوه علىٰ هذا العدد ونقلوه إلىٰ زمن الربيع، فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عِوضًا عن نقله من الشهور الهلالية إلىٰ الشهور الرومية، وتعبدوا بالنجاسات وكان المسيح عليه السلام في غاية الطهارة والطيب والنظافة وأبعد الخلق عن النجاسة، فقصدوا بذلك تغيير دين اليهود ومراغمتهم، فغيروا دين المسيح وتقربوا إلىٰ الفلاسفة عباد الأصنام بأن وافقوهم في بعض الأمر ليُرضوهم به وليستنصروا بذلك علىٰ اليهود. انتهىٰ كلامه رحمه الله.[1]

---

1 «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٧٠)، تحقيق الفقي.

قلت: وقد أَلَّف بعض علماء الإسلام كتبًا في تحريف الكتب السابقة، كما أُلِّفت بعض الرسائل العلمية في ذلك، منها:

١ – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٢ – مصادر النصرانية – دراسة ونقدًا، عبد الرزاق بن عبد المجيد الأرو، الناشر: دار التوحيد للنشر – الرياض.

٣– تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ – أسبابه ونتائجه، تأليف: بسمة جستنيه.

=

تنبيه مهم

- ومع ذلك التحريف والتبديل الذي تعرضت له التوراة والإنجيل؛ فإنه لا زال في التوراة والأناجيل المتوافرة بأيدي اليهود والنصارىٰ الآن شيءٌ من الحق الذي جاء به موسىٰ والمسيح، وشهِد له القرآن أيضًا، كنبوة محمد[١] (صلىٰ الله عليه وسلم)، وبشرية عيسىٰ (صلىٰ الله عليه وسلم)، ووجوب إفراد الله بالعبادة، نذكر هذا من باب الإنصاف، لأن الله أمر المسلمين بالإنصاف كما في قوله تعالىٰ: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوىٰ﴾.

=

٤- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تأليف: القاضي أبي البقاء صالح بن الحسين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض.

٥- النصرانية - الأصل والواقع، تأليف: د. محمد السحيم، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

٦- الأسفار المقدسة قبل الإسلام - دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية، تأليف: د. صابر طعيمة، الناشر: عالم الكتب – لبنان.

1 انظر كتاب: «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلًا علىٰ وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم – بيروت.

وجوه إعجاز القرآن

القرآن الكريم مُعجِزٌ في ذاته من عشرة وجوه[١]:

الأول: بيانه وفصاحته، فالقرآن الكريم نزل علىٰ العرب بلغتهم، وفي زمان بلغوا فيه الذَّرْوَةَ في الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن نظم الشعر، فظنوا في أول الأمر أنهم يستطيعون الإتيان بمثله فقالوا: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[٢]، فنزل القرآن بتحديهم علىٰ ثلاث مراحل؛ الأولىٰ أن يأتوا بمثله[٣]، والثانية أن يأتوا بعشر سور مثله[٤]، والثالثة أن يأتوا بسورة مثله[٥]، فعجزوا مع شدة حرصهم علىٰ مغالبة القرآن وقوة فصاحتهم، فقطع الله طمعهم

---

1 قولي إنها عشرة ليس علىٰ سبيل التحديد، ولكن بحسب ما يسر الله الوقوف عليه، وربما كانت هناك وجوه أخرىٰ، فالله تعالىٰ أعلم، وانظر للاطلاع وجوه إعجاز القرآن الكريم العشرة كما ذكرها القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن»، باب: ذكر نكت في إعجاز القرآن، وشرائط المعجزة وحقيقتها.

2 سورة الأنفال: ٣١ .

3 سورة الطور: ٣٣ – ٣٤ .

4 سورة هود: ١٣ .

5 سورة البقرة: ٢٣ .

إلىٰ قيام الساعة في قوله تعالىٰ: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا﴾[١].[٢]

قال ابن تيمية رحمه الله:

والقرآن آيته باقية علىٰ طول الزمان من حين جاء به الرسول، تُتلىٰ آيات التحدي به ويتلىٰ قوله: ﴿فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين﴾، و﴿فأتوا بعشر سورٍ مثله﴾، و﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ﴾، ويُتلىٰ قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا﴾، فنفس إخبار الرسول بهذا في أول الأمر[٣] وقطعِه بذلك مع علمه بكثرة الخلق دليل علىٰ أنه كان خارقًا يُعجز الثَّقَلين[٤] عن معارضته، وهذا لا يكون لغير الأنبياء.

ثم مع طول الزمان قد سمِعه الموافق والمخالِف، والعرب والعجم، وليس في الأمم من أظهرَ كتابًا يقرأه الناس وقال إنه مثله، وهذا يعرفه كل أحد، وما من كلام تكلم به الناس –وإن كان في أعلىٰ طبقات الكلام لفظًا ومعنىٰ– إلا وقد قال الناس نظيرَه وما يشبهه ويقاربه، سواء كان شعرًا أو خطابة أو كلامًا في

1 سورة الإسراء: ٨٨ .

2 وانظر أيضًا ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترىٰ من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (سورة يونس: ٣٧).

3 أي: في أول أمر نبوته.

4 الثقلان هما: الإنس والجن.

العلوم والحكم والاستدلال والوعظ والرسائل وغير ذلك، وما وُجِد من ذلك شيء إلا وَوُجِد ما يُشبهه ويُقاربه.

والقرآن مما يَعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب علىٰ معارضته، فلفظُه آية، ونظمُه آية، وإخبارُه بالغيوب آية، وأمرُه ونهيُه آية، ووعدُه ووعيدُه آية، وجلالتُه وعظمتُه وسلطانُه علىٰ القلوب آية، وإذا تُرجم بغير العربي كانت معانيه آية، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم.[1]

قال مقيده عفا الله عنه:

تحدىٰ الله في ستِّ آيات من القرآن جميع الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو سورة منه أو آية منه فما استطاعوا، وهي:

١- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

وإن كنتم في شَكٍّ من القرآن الذي نَزَّلناه علىٰ عبدنا محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)، وتزعمون أنه ليس من عند الله، فهاتوا سورة تماثل سورة من القرآن، واستعينوا بمن تقدرون عليه مِن أعوانكم، إن كنتم صادقين في دعواكم.

1 كتاب «النبوات»، ص ٥١٥ - ٥١٧ .

٢- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

أم يقول الكفار الذين لا يؤمنون بأن القرآن من عند الله: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه؟ فقل لهم أيها الرسول: فأتوا أنتم بسورة واحدة من جنس هذا القرآن في نظمه وهدايته، واستعينوا علىٰ ذلك بكل مَن قَدَرْتم عليه من دون الله من إنس وجن، إن كنتم صادقين في دعواكم.

بل سارَعوا إلىٰ التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته، وكفروا بما لم يحيطوا بعلمه من ذكر البعث والجزاء والجنة والنار وغير ذلك من الأمور التي لم يأتهم بعدُ حقيقة ما وُعِدوا به في الكتاب.

وكما كذَّب المشركون بوعيد الله كذَّبت الأمم التي خلت قبلهم، فانظر أيها الرسول كيف كانت عاقبة الظالمين، فقد أهلك الله بعضهم بالخسف، وبعضهم بالغرق، وبعضهم بغير ذلك.

٣- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

بل يقول هؤلاء المشركون من أهل (مكة): إن محمدًا قد افترىٰ هذا القرآن، فقل لهم: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من جميع خلق الله ليساعدوكم علىٰ الإتيان بهذه السور العشر، إن كنتم صادقين في دعواكم.

٤- ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا **بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ** لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

قل يا محمد للذين لا يؤمنون بأن القرآن كلام الله: لو اتفقت الإنس والجن علىٰ محاولة الإتيان بمثل هذا القرآن المعجز لا يستطيعون الإتيان به، ولو تعاونوا وتظاهروا علىٰ ذلك.

٥- ﴿أم يقولون تقَوَّله بل لا يؤمنون * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ **مِّثْلِهِ** إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

أم يقول هؤلاء المشركون إن محمدًا اختلق القرآن من تلقاء نفسه؟

بل هم لا يؤمنون، فلو آمنوا لم يقولوا ما قالوه. فليأتوا بكلام مثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم أن محمدًا اختلقه من عنده.

٦- ﴿وَمَا كَانَ **هَٰذَا الْقُرْآنُ** أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ

يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وتفسير الآية الكريمة كالتالي:

وما كان يتهيَّأ لأحد أن يأتي بهذا القرآن مِن عند غير الله، لأنه لا يقدر علىٰ ذلك أحد من الخلق، وفي هذا القرآن بيان وتفصيل لما شرعه الله لأمة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم)، ولا شك في أن هذا القرآن موحًىٰ من رب العالمين.

فائدة

ومما يدل علىٰ بطلان مقولة إن محمدًا (صلىٰ الله عليه وسلم) افترىٰ هذا القرآن؛ أن محمدًا لم يجالس علماء ولا شعراء في فترة ما قبلَ القرآن، ولم يكن يحفظ الشعر في فترة ما قبل القرآن ولا بعدها، فمِن أين له نظم هذا القرآن الذي أعجز العرب والعجم بنظمه وأسلوبه؟

ومن أين له معرفة الأخبار التاريخية التي تضمنها القرآن وقد عُلِم أن بلده مكة لم تكن فيها مدراسُ تُدرَّسُ فيها تلك الأخبار؟

ومِن أين له معرفة الأمور العلمية المذكورة في القرآن التي لم تكتشف إلا في الزمن الحاضر بعد مرور أربعة عشر قرنًا علىٰ نزول القرآن؟

ومن ذلك مراحل خلق الإنسان في بطن أمه، وتكوين الجبال والبحار وغيرها من الأمور الطبيعية.

فائدة: التوراة والإنجيل لا يُجزم بأنها معجزة في لفظِها

لا يُجزم بأن التوراة والإنجيل مُعجزة من حيث اللفظ والنَّظم كالقرآن، فهذا يرجع إلىٰ اللغة التي أنزِل بها وهي العبرانية، وإنما هي مُعجزة لما تضمنته من المعاني، كالإخبار عن الغيوب، وما فيها من الهدىٰ والنور، وما فيها من الإخبار بنبوة محمد (صلىٰ الله عليه وسلم).[1]

الوجه الثاني من وجوه إعجاز القرآن: أنه ليس فيه عوج لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني، قال الشنقيطي رحمه الله في تعليق له علىٰ قوله تعالىٰ ﴿الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا﴾:

أي: لم يجعل فيه اعوجاجًا كائنًا ما كان، لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني، فألفاظه في غاية الإعجاز والسلامة من العيوب والوصمات، ومعانيه كلها في غاية الكمال، أخباره صدق، وأحكامه عدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا﴾ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام.[2]

1 انظر كتاب: «النبوات» (٥١٩).

2 «الرحلة إلىٰ إفريقيا» (ص١٨).

ثالثًا: حِفظه من التحريف علىٰ مر العصور والدهور، ووجه الإعجاز أنه لم يُحفظ كتابٌ من الكتب السماوية كما حُفِظَ هذا الكتاب، وصدق الله: ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكر وإنا له لحافظون﴾.[1]

رابعًا: حُسْنُ ما تضمنه القرآن من تشريعات وأحكام، تصلح لجميع البشر ولجميع الأزمنة والأمكنة، وتشمل جميع ما يصلح العباد في دنياهم وآخرتهم، في العقيدة والشريعة والآداب والاقتصاد والسياسة وغيرها، وجعله مُستغنيًا عن غيره من القوانين والدساتير.

خامسًا: صِدقُ الأخبار التي تضمنها، سواء التي مضت، أو التي تحصل تَبَعًا مع مرور الزمن أثناء تَنَزُّل القرآن، أو الآيات التي فيها ذكر بعض الأمور المستقبلية، **فأما الأخبار التي مضت** فهي كالإخبار عن خلق السماوات والأرض، وقصة آدم وإبليس، ثم قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وغيرها، جاءت كل هذه الأخبار علىٰ لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وتَضَمَّن القرآن كذلك ذكر بعض الأحكام الواردة في التوراة، وبيان كتمان أحبار اليهود لها، حتىٰ تحداهم القرآن بقوله: ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾.[2]

---

1 سورة الحجر: ٩ .

2 سورة آل عمران: ٩٣ .

وأما الآيات التي نزلت تَبَعًا مع التنزيل: فكالآيات التي نزلت لكشف أحوال المنافقين، والآيات التي فيها إجابة علىٰ أسئلة، كالآيات التي تَصَدَّرها قولُه: ﴿ويسألونك﴾ ونحوها، وكذا المواقف التي كشفت عن صدق الله وَعده لنبيِّه بالنصر في الحروب، وغير ذلك.

وأما الآيات التي فيها أخبار ما سيأتي في المستقبل فوقعت مطابقة لما أخبر: فكدخول المسجد الحرام، وهي في آخر سورة الفتح.

وأيضا قوله تعالىٰ: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾[1]، فقد روىٰ ابن جرير وابن أبي حاتم أن عمر لما نزلت هذه الآية قال: أيُّ جمعٍ يُهزم؟

فلما كان يوم بدر رأيت النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) يَثِبُ في الدِّرع ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

وفي رواية لابن أبي حاتم: فعرفتُ تأويلها يومئذٍ.

وكذلك الآيات التي فيها تقرير عجز الناس عن أن يأتوا بآية مثل آيات القرآن، فعجز الناس فعلًا، وكالآيات التي تقرر حفظ الله لكتابه، كقوله تعالىٰ: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، فوقع الأمر كما أخبر، فكم من ملحدٍ حاول ثم نكص علىٰ عقبيه، وكالآيات التي تقرر حصول العزة والكرامة والسيادة والظهور للأمة الإسلامية إن استقامت علىٰ أمر الله، فوقع الأمر كما أخبر الله في القرون الثلاثة المفضلة الأولىٰ.

---

1 سورة القمر: ٤٥ .

قال تعالىٰ: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيمكنن لهم دينهم الذين ارتضىٰ لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا﴾[1]، ثم لما فشا فيهم الشرك والبدع، والبعد عن منهج السلف الصالح في العقيدة والشريعة والسلوك؛ صاروا في ذيل الأمم، وتسلطت عليهم الأمم الأخرىٰ، واحتلوا بلادهم قرونًا من الزمن.[2]

ومن دلائل صدق القرآن: ما جاء فيه من ذكر بعض الأمور العلمية، ثم لما ظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر، فمراحل تكوين الإنسان في بطن أمه –مثلًا– قد تحدث عنه القرآن قبل أربعة عشر قرنًا، بينما لم يَهتدِ علماءُ الطب إلىٰ مراحل ذلك التكوين إلا في العقود المتأخرة من هذا

1 سورة النور: ٥٥ .

2 تعمدت هنا ذكر جملة (واحتلوا بلادهم قرونًا) بدل (واستعمروا بلادهم قرونًا)، والفضل في هذا الاختيار يعود للعلامة السلفي محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله، فقد انتقد كلمة (الاستعمار)، فقال ما معناه: إن مادة هذه الكلمة هي (العمارة)، ومن مشتقاتها التعمير والعمران، كما قال الله تعالىٰ: ﴿هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾، والذي وقع من الإفرنج في تلك الحقبة الزمنية هو الخراب لا العمران، فإنهم خرَّبوا الأوطان والأديان والعقول والأفكار والمقومات، وتركوا آثارًا وبصمات سيئة بعد انسحابهم من البلاد التي احتلوا وهيمنوا عليها، ومع الأسف فالمصطلح المستعمل بين المسلمين بعد انسحابهم وإلىٰ الآن هو الاستعمار، وهذا خطأ لفظي واضح.

انظر «آثار الإبراهيمي» (٣/ ٥٠٦ – ٥٠٧).

الزمان.

وبيان ذلك أن القرآن الكريم بين أن حياة الإنسان تمر **بأربعة** مراحل، فقال تعالىٰ في مطلع سورة المؤمنون:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا فكسونا العظام لحمًا ثم أنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾.

فالمرحلة الأولىٰ هي أصل الخلقة، لما خلق الله أبانا آدم عليه السلام من طين، وفي هذا يقول الله تعالىٰ: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

المرحلة الثانية هي مرحلة تكون الإنسان في بطن أمه، وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ المراحل التدريجية لتكون الإنسان في بطن أمه، وهي خمسة مراحل؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم فوق العظام.

فقوله: ﴿خلقنا النطفة علقة﴾ أي: دمًا أحمر.

وبعد أربعين يومًا تتحول العلقة إلىٰ مضغة، أي قطعة لحم قَدْر المضغة التي يمضغها الإنسان في فمه.

ثم تتحول المضغة اللينة وتتحول خلقتها إلىٰ عظام.

ثم تُكسىٰ العظام لحمًا، ثم يُنشِئه الله خلقًا آخر بنفخ الروح فيه.

فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

والشاهد من هذا السَّرد لمراحل خلق الإنسان أن علم الطب الجديد اكتشف هذه المراحل كلها، ثم تفاجأ بأنه هذه المراحل مذكورة في القرآن منذ أربعة عشر قرنًا، فاستدلوا من هذا علىٰ أن القرآن كلام الله، لا يمكن أن يكون الذي أتىٰ به بشر، فسبحان من بهر بحكمته العقول.

وكذا الأمر بالنسبة لتكوين البحار والجبال وغيرها، فقد جاء ذكر تكوينها الطبيعي في القرآن، وبعد ظهور المكتشفات الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر به.

وقد أُلِّفَت في مطابقة الاكتشافات العلمية لما جاء به القرآن مؤلفات كثيرة، وأسلم بسبب هذا التطابق عددٌ ليس بالقليل من علماء الطبيعة، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلىٰ مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

سادسًا: ومن دلائل إعجاز القرآن تنوُّع العلوم التي احتواها، فعلاوة علىٰ أن القرآن الكريم قد قرر العقيدة الصحيحة فيما يتعلق بصفات الله تعالىٰ وأحقيته بالعبادة، وهَدَمَ أساطير الخرافة والتعلق بالمخلوقات؛ فإنه لم يقتصر علىٰ هذا، فقد اغترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة الشيء الكثير، بل هو المعيار الأساس لضبط علومِهم.

فتنوُّع العلوم هذه كلها تدل علىٰ أن النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) صادق

فيما يُبَلِّغُه عن ربه، فإنه من المستقر المعلوم عند قومه أنه أُمِّيٌّ، لا يقرأ ولا يكتب، فمن أين سيأتي بكل هذه الأخبار القرآنية لولا أنه يُوحىٰ إليه من ربه؟ قال تعالىٰ: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ❁ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بها إلا المبطلون﴾.[١]

سابعًا: ومن وجوه إعجاز القرآن تأثيره البليغ في النفوس، سواء كانت نفوسًا مؤمنة أو كافرة، وصدق الله: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله﴾[٢]، وقوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلىٰ ذكر الله﴾.[٣]

وقد تأثر بالقرآن بعض صناديد الكفر من قريش، ومن ذلك قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن، فقد روىٰ ابن جرير في «تفسيره»[٤] والحاكم في «مستدركه»[٥] واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا

1 سورة العنكبوت: ٤٨ – ٤٩ .

2 سورة الحشر: ٢١ .

3 سورة الزمر: ٢٣ .

4 تفسير سورة المدثر، الآيات ١٨ – ٢٥ .

5 (٢/ ٥٠٧).

جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا.

قال: لِمَ؟

قال: ليعطوكَهُ، فإنك أتيت محمدًا لتَعرِض لما قِبَلَه.[1]

قال: قد علِمَت قريش أني من أكثرها مالًا.

قال: فقُل فيه قولا يبلُغ قومك أنك منكرٌ له، أو أنك كارهٌ له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برَجزٍ ولا بقصيدةٍ مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يُشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لِقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطُلاوة[2]، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مُغدِقٌ[3] أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلىٰ، وإنه لَيَحْطِمُ ما تحته.

قال: لا يرضىٰ عنك قومك حتىٰ تقول فيه.

قال: فدعْني حتىٰ أفكر.

فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر، يأثِره عن غيره[4]، فنزلت: ﴿ذرني ومن خلقت

---

1 أي: لتعرض نفسك لما عنده من مال، يريدون أنه طمِع بما عنده، فلهذا ذهب إليه.

2 أي: رونقًا وحسنًا، وقد تفتح الطاء. انظر «النهاية».

3 الغدَق هو الماء الكثير، وفي التنزيل: ﴿لأسقيناهم ماء غدقًا﴾، والمقصود بالمُغدق في الكلام هنا هو كثرة خيره. انظر «لسان العرب».

4 أي: يرويه عن غيره.

وحيدًا﴾.[1]

وأخرج ابن إسحاق في السيرة[2] والبيهقي في «الدلائل»[3] واللفظ له عن الزهري قال: حُدِّثتُ أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شُريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله (صلىٰ الله عليه وسلم) وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع فيه، وكُلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتُوا يستمعون له، حتىٰ إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرَّقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: (لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا)، ثم انصرفوا، حتىٰ إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلىٰ مجلسه، فباتوا يستمعون له حتىٰ إذا طلع الفجر تفرَّقوا، فجمعتهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتىٰ إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقالوا: (لا نبرح حتىٰ نتعاهد لا نعود)، فتعاهدوا علىٰ ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتىٰ أتىٰ أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد.

فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها.

---

1 سورة المدثر: ١١ .

2 كتاب «السيرة»، ص (١٦٩)، تحقيق محمد حميد الله.

3 باب جماع أبواب المبعث (٢/ ٢٠٦).

قال الأخنس: وأنا، والذي حلفتَ به.

ثم خرج من عنده حتىٰ أتىٰ أبا جهل فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟

قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتىٰ إذا تجاثينا علىٰ الركب وكنا كفَرَسَيْ رِهان؛ قالوا: (منا نبي يأتيه الوحي من السماء!)، فمتىٰ ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس بن شريق. انتهىٰ.

ولما سمع جُبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله (صلىٰ الله عليه وسلم) يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[1]، وكان جبير يومئذٍ مشركًا؛ قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.[2]

ولما كان القرآن يتصف بهذا التأثير البليغ في النفوس؛ تعاهد الكفار ألا يستمعوا للقرآن، كما أخبر الله تعالىٰ عنهم بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[3]، وما ذاك إلا لتأثيره في نفوسِهم،

1 سورة الطور: ٣٥ – ٣٧ .

2 رواه البخاري مفرقًا (٤٠٢٣، ٤٨٥٣).

3 سورة فصلت: ٢٦ .

وإحساسهم به في أعماقهم، ولكنهم قوم يستكبرون عن سماع الحق.

وقد أثَّر القرآن في بعض النصارىٰ فآمنوا به، قال تعالىٰ عنهم: ﴿وإذا سمعوا ما أُنزل إلىٰ الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبا مع الشاهدين﴾.[1]

أما المؤمنون فتأثير القرآن فيهم واضح، قال تعالىٰ: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا﴾[2]، والكلام في هذا يطول، وهو موجود في مظانه، ويكفي في هذا ما ذكره جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»[3] أن جماعةً ماتوا عند سماع آيات من كتاب الله، وقد أفرَدَ أسماءهم في مصنف.

ثامنًا: ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم كونه شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية (أي: النفسية)، فأما الأمراض الحسية فقد حذر القرآن من جملة من المطعومات والمشروبات والسلوكيات علىٰ سبيل الوقاية من الأمراض، ومن ذلك تحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وارتكاب الزنا واللواط، وكذا إتيان النساء في فترة المحيض.

وأما إذا أُصِيب الإنسان بمرض فقد أرشد النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) إلىٰ

---

1 سورة المائدة: ٨٣ .

2 سورة الأنفال: ٢ .

3 باب: النوع الرابع والستون في إعجاز القرآن.

التداوي بقراءة سورة الفاتحة، كما أرشد القرآن إلىٰ التداوي بالعسل، ﴿فيه شفاء للناس﴾.[1]

وأما الأمراض النفسية فالقرآن هو أفضل الأدوية لها، بل إن سبب هذه الأمراض هو البعد عن القرآن، ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا﴾[2]، ومن تلك الأمراض: القلق والاكتئاب والسحر والأخلاق الرديئة من طمع وكبر والانجراف وراء الشهوات وغير ذلك، وذلك أن هذه الأمراض تحصل نتيجة الخواء الروحي، وليس للخواء الروحي دواء إلا الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ.

وصدق الله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[3]، ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[4]، ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىٰ ورحمة للمؤمنين﴾[5]، ﴿قل هو للذين آمنوا هدىٰ وشفاء﴾.[6]

وقد شفىٰ الله بقراءة القرآن الألوفَ المؤلفة ممن أصيبوا بالأمراض العضوية والنفسية علىٰ مرِّ العصور، ولا يزال هذا يُشاهدُ ويُمارس، بل قد صار

---

1 سورة النحل: ٦٩ .

2 سورة طه: ١٢٤ .

3 سورة الرعد: ٢٨ .

4 سورة الإسراء: ٨٢ .

5 سورة يونس: ٥٧ .

6 سورة فصلت: ٤٤ .

الاستشفاء بالقرآن مُقرَّرًا في بعض العيادات النفسية.

تاسعًا: ومن وجوه إعجاز القرآن يُسرُ حفظِه عن ظهر قلب لمن أراد ذلك، خلافًا لغيره من الكتب، فقد حُفِظ القرآن كاملًا في صدور الملايين من الناس منذ عصر النبوة إلىٰ يومنا هذا، وقد حفظه من هو من المكفوفين، كما حفظه مَن هو مِن الأعاجم الذين لا يتكلمون اللغة العربية إلا قليلًا، فسبحان من بهر بكتابه العقول، وسيستمر حفظه في صدور الناس إلىٰ نهاية الدنيا.

وهذا الوجه من وجوه الإعجاز لم –ولن– يحصل لغيره من الكتب إطلاقًا.

عاشرًا: ومن وجوه إعجاز القرآن أنه أكثر الكتب تلاوة علىٰ وجه الأرض، فقد صرحت الموسوعة البريطانية بذلك.[1]

1 المرجع: «دائرة المعارف البريطانية»، مادة «محمد».

فصل
في بيان ما يضاد الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب يضادُّه أحد عشر أمرًا:

الأول: تكذيبها، أي: ادعاء أنها لم تنزل من عند الله، ومن ذلك تكذيب الكفار بأن القرآن كلام الله وقالوا إنه مفترىٰ من عند البشر، حاشا لله، وقد أكذب الله تعالىٰ هذه المقولة في آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله﴾[1].

الثاني: تحريفها كما هو واقع التوراة والإنجيل، وقد تقدم الكلام في هذا الموضوع.

الثالث: معارضة القرآن بالعقول، وادعاء أن هناك ما هو أحسن منه وأفضل.

الرابع: ادعاء أن القرآن الموجود بأيدي المسلمين اليوم ناقص، ومن هذا قول الرافضة إن القرآن أُنقِص ثُلُثاه، وإن هذين الثلثين متعلقان بفضائل أهل البيت، ويدَّعون أن القرآن الكامل سيخرج في آخر الزمان!

1 سورة يونس: ٣٨.

الخامس: ومما يضاد الإيمان بالقرآن العظيم تفضيل بعض الأوراد عليه، كما تقوله فرقة التيجانية وبعض فرق المتصوفة، قالوا: إن قراءة صلاة الفاتح مرة واحدة خير من قراءة القرآن ستة آلاف مرة![1]

السادس: ومما يقدح في الإيمان بالقرآن العظيم قدحًا عظيمًا، الإعراض عن التحاكم إليه، واستبداله بشرائع البشر وقوانينهم ودساتيرهم الوضعية، وفاعل ذلك حكمه من جهة تكفيره أو عدمه بحسب حاله، فإن كان الإعراض عن التحاكم إليه منطلقٌ من تَنَقُّص القرآن فهذا كُفرٌ لا ريب فيه، كمن يحكم بغير ما أنزل الله في القرآن معتقدًا أنه لا يصلح للتحاكم إليه في زماننا، أو إن شريعة البشر مساوية لما في القرآن في العدل والحكمة أو أحسن منه، فهذا كفر صريح، لأنه تكذيب للقرآن، وطعنٌ في حكمِ الله وشرعِهِ، ومن ثم فإنه تَنَقُّصٌ له، وتنقُّصُ الله كفر، بل يلزم منه تفضيل المخلوقين علىٰ الخالق تعالىٰ في بعض صفاتهم، كصفة العلم والحكمة وغيرها، وهذا كفر صريح لا شك فيه، والواجب هو الإيمان بأن الله هو الحكيم الخبير العليم بمصالح خلقه، قال تعالىٰ: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾.[2]

وأما إن كان الإعراض عن التحاكم إليه لهوىٰ في النفس من ظلم أو رشوة أو نحوه، مع اعتقاده بأن حكم الله يجب العمل به وأنه الأصلح للبشر؛ فهذا

---

1 انظر للتوسع في معرفة ما عليه هذه الفرقة كتاب: «التيجانية» لعلي بن محمد الدخيل الله (ص ١١٦ وما بعدها)، الناشر: دار طيبة – الرياض.

2 سورة الملك: ١٤ .

الحاكم لا يكفُر، سواء كان واليًا أو قاضيًا، بل يكون قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وهو المعروف بالكفر الأصغر.

والكلام في الحكم بغير ما أنزل الله يطول، وقد تكلم أهل العلم فيه في كتب التفسير والعقائد وغيرها.

والإعراض عن التحاكم إلىٰ ما أنزل الله يعتبر من ألوان الانحراف التي وقع فيها من قبلنا من الأمم كاليهود والنصارىٰ، عياذًا بالله، فمن وقع في ذلك فقد تشبه بهم، وبئس من تُشُبِّهَ بهم.

السابع: ومما ينافي الإيمان بالقرآن تفسيره بالأهواء والأقوال الباطلة التي لم تثبُت عن السلف الصالح، كتفسيرات الجهمية والمعتزلة والرافضة والتفسير الإشاري ونحو ذلك.

الثامن: ومما ينافي الإيمان بالقرآن إهانتهُ كما يفعل السحرة من وضعِه في المزابل أو في أماكن قذرة وتلويثه وتمزيقه، وهذا كفرٌ بالله العظيم، وللعلم فإنه الشياطين لا تُتمِّم للساحر سحره إلا بإهانة القرآن العظيم.

التاسع: ومما يقدح في الإيمان بالقرآن الإعراض عن العمل بأحكامه، سواء المتعلقة بجانب الاعتقاد أو العبادات أو الآداب والسلوك.

تنبيه

ومما ينبغي أن يُعلم أن أعداء الدين من يهودٍ ونصارىٰ وملحِدين ومقلِّدين لهم دور هام في صد المسلمين عن العمل بالقرآن منذ القِدم، ومن ذلك قول

«غلادستون» رئيس وزراء بريطانيا سابقًا في مجلس العموم البريطاني: «ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع «أوربة» السيطرة علىٰ الشرق».

وقال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرىٰ مرور مئة سنة علىٰ استعمار الجزائر: «إننا لن ننتصر علىٰ الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية، فيجب أن نُزيل القرآن العربي من وجودِهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم».[1]

العاشر: ومما ينافي الإيمان بالقرآن القول بخلق القرآن، وأنه ليس كلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة، وإنما هو معانٍ نفسية خلقها الله في غيره، وهذه عقيدة فرقة الجهمية. والصواب الذي عليه أهل الإسلام أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

الحادي عشر: ومما ينافي الإيمان بالقرآن عدم الإيمان بالسنة الشريفة، وهذا كفر بالقرآن أصلًا، لأنها -أي السنة الشريفة- وحي من عند الله، تُبين القرآن وتفسره، وتُخصِّص عموماته، وتُقيِّد مطلقه.

ثم إن الله تعالىٰ أمر الله بطاعة رسوله (صلىٰ الله عليه وسلم)، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالسنة الشريفة، قال تعالىٰ: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، وقال تعالىٰ: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولىٰ فما

1 يُنظر للتوسع كتاب «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله»، لجلال العالم (ص: ٤٠).

أرسلناك عليهم حفيظًا﴾[1] .

هذه أهم مظاهر الإعراض عن القرآن العظيم، نسأل الله أن يُجنبنا إياها، وأن يوفقنا للإيمان بكتابه حق الإيمان، وقراءته وتدبره والعمل به.

---

1 سورة النساء: ٨٠ .

فصل
في ثمرات الإيمان بالقرآن[1]

الإيمان بالقرآن يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولىٰ: العلم بعناية الله تعالىٰ بعباده، حيث أنزل لهم كتابًا يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالىٰ في شرعه حيث شرع للناس كلهم كتابا يناسب أحوالهم.

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

الرابعة: الهداية إلىٰ الصراط المستقيم والدين القويم الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالىٰ لعباده.

الخامسة: السلامة من الضلال والانحراف والتخبط الذي يقع فيه البشر بسبب بعدهم عن شريعة الله المذكورة في القرآن.

1 استفدت جُلَّ هذا الفصل من كتاب «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين (ص٩٥)، و«شرح أصول الإيمان» (ص٣١)، الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل[١]، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم.

والله أعلم وأحكم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ سائر أنبيائه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

تم بحمد الله الفراغ من مراجعة هذا الكتاب وإعادة النظر فيه في الثالث من شهر رمضان لعام ١٤٣٨ هجري، الموافق ٢٩ مايو لعام ٢٠١٧ ميلادي.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

ماجد بن سليمان

majed.alrassi@gmail.com

00966505906761